



ثلاثون عاماً على رحيل
الفرد أبو سمرا (أبي طارق)

بعد أيام تطل الذكرى الثلاثين لرحيل الفرد أبو سمرا (أبو طارق) وهو واحد من رواد الصحافة والوطنية والعروبة، صاحب "القلم الصريح"، المنتقل بين قضبان السجون ومناير الكلمة على مدى أربعة عقود ونيّف. فلقد حمل ابن مرجعيون، ولم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره، مشعل الصحافة الحرة، فأطلق جريدة جنوبية الهموم، لبنانية الانتماء، عروبية التوجه أسماها

"القلم الصريح"، لم تتوقف إلا بعد أن غرق لبنان في حربته العنيفة عام 1976، فكانت مدرسة في الصحافة والالتزام ونموذجاً لقدرة فرد واحد على إصدار جريدة يكتبها حرفاً حرفاً، ويصحح بروفاتها، ويجمع اشتراكاتها ويراسل قراءها، ويرفدها بعمل نضالي دؤوب من أجل الجنوب، ولبنان، وكل قضايا العروبة، فكان في الصحافة صاحب قضية، وكان للقضية التي يؤمن بها صاحب قلم.

لقد كانت "القلم الصريح" منبراً أطل من خلالها عدد من رواد النهضة الفكرية والأدبية والقومية البارزين في النصف الأول من القرن الماضي، فضمت صفحاتها مقالات لأمين الريحاني، وأحمد عارف الزين، والشيخ سليمان الضاهر، والشيخ أحمد رضا، وعارف النكدي، وعبد الله النجار وفؤاد جرداق، وفارس الخوري، وفخري البارودي، حليم دموس، سعيد فريحة، كامل مروة، يوسف أحمد نجم، وصالح الدين المختار، والأخطل الصغير، وبولس سلامة، وفيليب حتي، وفؤاد مفرج، وأحمد الصافي النجفي، ولييب غلمية، وتوفيق قربان، وفارس دبغي، ووديع ديب، وموسى الزين شرارة، وعبد المسيح محفوظ، وأحمد ومحمد سويد، وعادل عسيران، وإبراهيم حداد، وعبد الحسين عبد الله، والشاعر القروي وغيرهم، مما يؤكد أهمية تلك الصحيفة التي جذبت إلى أقاصي الجنوب اللبناني أقالماً من كل لبنان، ومن كل أنحاء الأمة العربية، فجسد من خلالها أبو طارق حلمه بالوحدة العربية، كما إيمانه بدور لبنان النهضوي ورسالته بين أبناء العروبة والعالم، فهو كان " يؤمن بلبنانية لا تكفر بالعروبة ... وبعروبة لا تكفر بلبنان".

كانت الصحافة بالنسبة إليه أكثر من رسالة ومهنة، كانت غريزة متقدة تلاحق الخبر حيث تسمعه، والرأي حيث تعجب به ، فيشتد إعجابك بعطائه المهني حين تلاحظ كيف نجحت جريدة تصدر في منطقة لبنانية نائية أن تضم بين جنباتها هذا الحشد من الأعلام وهذا الكم من الأفكار، وهذا العدد من المواقف الشجاعة التي كثيراً ما كانت تدفع بصاحبها إلى السجن والملاحقة والتضييق، فأصحاب السطوة يخشون "القلم"، فكيف إذا كان "صريحاً".

كان من أوائل المؤسسين في عصابة العمل القومي التي انطلقت من قرنايل في جبل لبنان عام 1936، لتشكل أول حركة قومية عربية تضم شخصيات من عدة أقطار عربية، تماماً مثلما اختاره أعضاء المؤتمر العربي الشهير في بلودان سكرتيراً لمؤتمر كان يضم دهاقنة السياسة العربية والنضال ضد الاستعمار وفي مقدمهم الزعيم الراحل رياض الصلح.

قد يكون لبلدته مرجعيون المحاذية لفلسطين الدور الكبير في اهتمامه المبكر بالقضية الفلسطينية، لكن وطنيته وعروبيته كانتا تشدّانه دائماً إلى الجرح العربي الكبير في القدس وعموم فلسطين، وتجعلانه يتنبأ باكراً إلى الخطر الدايم الذي يحمله هذا الخطر الصهيوني على الوطن العربي عموماً، ولبنان خصوصاً، والجنوب على وجه التحديد.

ولم تنحصر علاقته بقضية فلسطين برؤيته المبكرة للخطر الصهيوني، بل برؤيته المبكرة لطريق المواجهة، إذ كتب عام 1948 (عام النكبة الفلسطينية) " أما وقد بيّت الأقوياء ما بيتوا للعالم العربي وللعالم الإسلامي، فلا غرو أن يتكفل العرب والإسلام كتلة واحدة مترابطة متحدة لا للذود عن تراثهم المفدى فحسب، بل، وهم دعاة السلام ورسل الخير ليدفعوا عن العالم شر كارثة إن هي هبت وفازت فلا تبقى ولا تذر".

فالصهيونية إذن بنظر أبي طارق خطر على العرب والمسلمين ولكنها أيضاً خطر على الإنسانية كلها، وهذا ما بدأت تكشف عنه الأيام.

تبقى ذكرى، الفرد أبو سمرا، بعد ثلاثين عاماً على رحيله، ذكرى لمن جمع بين الرؤية الثاقبة والالتزام المضني بالمبادئ، بين قلم صريح ومهنية متوثبة، بين تصميم نادر على العطاء وظروف مكبلة بالإحباط والخيبة.

انه علم من أعلام الصحافة اللبنانية والعربية، وقلم صريح من أقلام الأمة لم ينكسر رغم كل ما واجهه من صعوبات.

مؤسسة الفرد ابو سمرا الثقافية